الحقيقة عن العظمة

(مرقس ٩: ٣٠-٥٠)

تأليف: جو شوبيرت

يرغب كل منا ان يكون معروفاً، أو على الأقل أن يُذكر، كشخص عظيم. العظمة تأتي بأفكار مختلفة لكل منا. لدينا جميعا صورة في اذهاننا عما تعني العظمة، ونحاول جاهدين للوصول إلى ذلك الهدف. قد يكون الهدف رغبة لا شعورية، ولكنه مع ذلك لا يزال هناك. العظمة بالنسبة لنا هي مجموعة قيم وأمنيات وتوقعات وأعمق الأشواق.

يكون المسيحي فكرته عن العظمة على ضوء العلاقة بتعاليم يسوع، ربنا. نسمح له أن يحدد فكرتنا عن العظمة. لم يتأثر يسوع بالقياس البشري للعظمة، لأن فكرته عن العظمة ذهبت في إتجاه مختلف كلياً. واجه تلاميذ يسوع أوقات عصيبة لإستيعاب تلك الحقيقة. لم يفهموا نوع المملكة التي جاء يسوع لتأسيسها. ما زالوا يفكرون بمفهوم مملكة دنيوية تؤسس في أورشليم ويكون يسوع قائدا عالميا عظيما، يقود إسرائيل لتبتهج بالنصر على جميع خصومها وأعدائها. السؤال الوحيد الذي كان يقلقهم هو: ما هو المنصب الذي سيتولونه في تلك المملكة. حاول يسوع مراراً وتكراراً ان يكلمهم بانه سيكون مسيا على الصليب وانتصاره سيكون النصر على الموت. تحدث معهم عن موته وقيامته في الأصحاح التاسع من إنجيل مرقس. حيث يقول مرقس البشير:

> وخرجوا من هناك واجتازوا الجليل ولم يرد أن يعلم أحد. لأنه كان يعلم تلاميذه ويقول لهم، إن ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه. وبعد أن يقتل، يقوم في اليوم الثالث. وأما هم فلم يفهموا القول وخافوا أن يسألوه (الآيات ٣٠-٣٢).

يبدو من هذا السجل بان يسوع تعمد تجنب الجموع عندما كان يعود في طريقه من خلال الجليل إلى كفرناحوم. السبب الذي أدى به إلى تجنب تلك الجموع هو انه أراد أن يكون على إنفراد مع تلاميذه: « ...ولم يرد أن يعلم أحد. لأنه كان يعلم تلاميذه... » كان هدف يسوع في الأناجيل كلها، هو أولئك الرجال الاثني عشر. كان يريد ان يبث الحق فيهم فوق كل شيء آخر.

في الاعلان عن الصليب في إنجيل مرقس الأصحاح ٩، أضيف شيئا جديد لم يظهر من قبل في تعبيرات يسوع لتلاميذه. انه قال في الجزء الأخير من الآية ٣١: « إن ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه. بعد أن يقتل يقوم في اليوم الثالث. » هنا كانت اشارة قوية للرسل بان الطريقة التي يسلم بها يسوع لأعدائه هي بفعل خيانة بشرية. لا أدري ما كان يعنيه هذا ليهوذا الإسخريوطي، الذي سمع، لأن الكتاب المقدس لا يقول شيئا عن ذلك. ولكننا ندري بان يسوع كان يعلم ما سيحدث منذ البدء.

يدون مرقس البشير رد فعل الرسل: « وأما هم، فلم يفهموا القول، وخافوا أن يسألوه » (الآية ٣٢). عندما نقرأ تلك الآية في أول الأمر، نميل إلى الظن بأن السبب في خوف التلاميذ من أن يسألوا يسوع عنه هو خوفهم من التوبيخ والعقاب بسبب السؤال. ولكن الحقيقة المذهلة هي أن يسوع لم يوبخ أي نفس من أجل سؤال. انه وبخهم مراراً وتكراراً لإستمرارية عدم

الإيمان مقابل كل ما رآوه واختبروه. ولكن ولا مرة واحدة في كل الأناجيل وبخ المسيح أي شخص من أجل سؤال. لم يكن ذلك الخوف في ذهن الرسل.

لفهم أفضل لهذه الآية يجب ان تلاحظ بانه لم يسأل يسوع التلاميذ كثيراً عن خيانته وموته في أورشليم لأنهم لم يرغبوا ان يعرفوا عنه. خافوا مما سيعرفونه عن هذا التنبؤ الذي اعتبروه بغيض في فكرهم.

نحن مثل الرسل أحيانا، ألسنا كذلك؟ عندما يأتي أحد بموضوع لا نرغب التحدث فيه، نقول أحياناً، «أرجو أن لا نتحدث عن هذا مرة أخرى.» نأتي إلى تلك الأوقات نغرز فيها رؤوسنا في الرمل ونظن بان لاننظر إلى شيء ولا نتحدث عنه، فسيمضي بطريقة ما. ولكن يسوع واجه الرسل باستمرار بحقيقة الصليب التي لا مفر منها، حتى وإن لم يفهموها، حتى وإن لم يرغبوا ان يروها، حتى وإن كانوا خائفين ليسألوه بالمزيد عن ما كان يعنيه.

السبب الذي لم يرغب الرسل أن ينظروا بدقة إلى ما كان يقوله يسوع هو لأن الطبع الذي كان قد امتلك في قلوبهم في هذا الوقت من الزمان، والذي يكشفه لنا مرقس البشير، إذ يقول:

> وجاء إلى كفرناحوم. وإذ كان في البيت سألهم بماذا كنتم تتكالمون فيما بينكم في الطريق؟ لأنهم تحاجوا في الطريق بعضهم مع بعض في من هو أعظم (آيتي ٣٣ و ٣٤).

هذا النص يوضح لنا ما أبعد فهم الرسل عن معرفة نوع المسيا الذي جاء يسوع ليكون. كان يسوع في تلك اللحظة عينها متقدماً نحو الصليب. وكان التلاميذ في تلك اللحظة عينها يجادلون عن من يكون الأعظم في ملكوت الله الجديد الممجد. وعندما سألهم بما كانوا يتجادلون عنه، لم يجيبوا بشيء. كان سكوتهم هو سكوت الخجل. لم يكن لديهم ما يدافعوا به.

تعامل يسوع مع هذه المحادثة بصرامة. يقول مرقس البشير بانه جلس ونادى الاثني عشر إليه وبدأ يعلمهم الحق عن العظمة. في الآيات التالية وحتى نهاية الآصحاح التاسع، رسم يسوع صورة واضحة لهم (ولنا أيضاً) في الكيفية التي يصبحوا بها شخصيات عظيمة.

بامكاني ان أبين على الأقل خمس ابعاد مبينة للعظمة التي ذكرها يسوع. فلننظر إلى كل من هذه ونطبقها في حياتنا.

١. قياسات الخادم

أولاً: قال يسوع بان الإنسان العظيم هو خادم الناس: «فجلس ونادى الاثني عشروقال لهم إذا أراد أحد أن يكون أولاً فيكون آخر الكل وخادماً للكل» (آية ٣٥). قال احد ما: «جدول العمل للحياة العظيمة يكتبه حاجات أناس أخرين.» فكر في هذه العبارة لحظة. قال أحد بان خدمة الآخرين هي الربح الذي ندفعه على الحياة التي أقرضها لنا الله. ما يحدث بواسطتنا للآخرين هو من احد ما يقيمه المسيح لعظمتنا.

لم يدع يسوع هذا التصريح عن الحق يبقى وحده. بل مضى في الآيات التي تلي وأعطانا مثال حي ليوضح ما قصده. أخذ ولداً (آية ٣٦). من الواضح انهم في بيت بطرس في كفرناحوم في هذ الوقت. أخذ يسوع ولداً وأقامه في وسطهم وقال في الآية ٣٧: «من قبل واحداً من أولاد مثل هذا باسمي يقبلني ومن يقبلني فليس يقبلني أنا بل الذي أرسلني.»

في اختياره ولداً ليوضح ما كان يعنيه، تعمد يسوع أن يختار شخص قليل الشأن، بلا منصب وبلا شهرة وبلا ثروة وبلا نفوذ وبلا هدف في العالم. وقف الولد هناك في وسطهم، وقال يسوع مشيراً إليهم بينما استقرت عيونهم على الولد، «من يقبل هذا الولد يقبلني.»

هذه حقيقة طاعنة ومثيرة. يسوع، كما تعرفه، يستخدم الأطفال مراراً كمثال لما يجب على الشخص ان يكون لكي يدخل ملكوت السموات. استخدم ولداً ليوضح ما يحدث لقيمتنا ومعاييرنا نبدأ باخذ ملكوت الله بجدية. يمثل هذا الولد كل بسطاء الحياة الذين يحتاجون إلينا والذين لا نتوقع منهم شيئاً بالمقابل على الإطلاق غير التأكيد بان مهما نفعله لهم قد فعلناه للمسيح. عندما تقف وتفكر

فيه، انه وعد جميل جداً، أليس كذلك؟

في هذه النقطة يقول مرقس البشير بان يوحنا قاطع يسوع. قد نظن بان بطرس هو الذي يقوم بمثل هذه المقاطعة. ولكن ليس بطرس في هذه المناسبة. انه يوحنا – يوحنا العاطفي والتأملي. نُخبر بطبيعة المقاطعة في إنجيل مرقس ٩:٣٨–٤٠:

> فأجابه يوحنا قائلاً يا معلم رأينا واحد يخرج شياطين باسمك وهو ليس يتبعنا. فمنعناه لأنه ليس يتبعنا. فقال يسوع لا تمنعوه لأنه ليس أحد يصنع قوة باسمي ويستطيع سريعاً أن يقول عليّ شراً. لأن من ليس علينا فهو معنا.

من الصعب أن تدري ما قاله يسوع حتى أثار يوحنا ليأتي بمثل هذا المقاطعة وبذكر هذا الحدث الذي وقع في وقت سابق. اقترح البعض بان ما ذكره يسوع عن قبول ولد «باسمي.» هو الذي أثار يوحنا ولكن مهما كان السبب، قاطع يوحنا وكلم يسوع عن هذا الحدث. قال: «يا معلم، عندما رأينا هذا الرجل يخرج شياطين باسمك، قلنا له ان لا يفعل لأنه لا ينتمي إلى مجموعتنا هذه. انه لم يكن واحد منا. لم يكن واحد من الذين يتجولون مع مجموعة الرسل. بل كان جزءا من مجموعة ما أو حركة ما التي لا نعلم أي شيء عنها. فأوقفناه.»

نرى هنا غيرة ما من جانب الرسل. لم يعلم يسوع أي شيء عن ذلك الإنسان، على ما يبدو، ولكنه لم يظهر غيرة. انه لم ينادي التلاميذ إلى عقد جلسة ليعطيهم الطريقة التي بها يمنعوا هذا الإنسان. لم يبدو قلقاً على الإطلاق بان هذا الإنسان قد يكتسب الشهرة ويفوز بأتباع أكثر مما كان له في هذا الوقت. وإنما قال: «لا تمنعوه لأنه ليس لأحد يصنع قوة باسمي ويستطيع سريعاً أن يقول عليّ شراً. لأنه من ليس علينا فهو معنا» (آيتي ٣٩ و٤٠).

كان الرسل يحاولون أن يحصروا كل الخيرات التي عملت بايديهم. ولكن يسوع، في رده أصر بانها ليست مهمتنا أن نراقب أعمال الآخرين. ذلك يتوقف على الله. وسيعتني الله بذلك بطريقته الخاصة.

بعد التعامل مع تلك المقاطعة، عاد يسوع إلى النقطة الرئيسية التي كان يوضحها، بان الإنسان العظيم هو خادم الجميع. أضاف في الآية ٣١ ما يلي: «لأن من سقاكم كأس ماء باسمي لأنكم للمسيح فالحق أقول لكم إنه لا يضيع أجره.» الإنسان العظيم هو الذي يعلم بان كل عمل الأحسان الذي يقام به لشعب الله لا يضيع أجره. لأن الله يعلمه.

لاحظ ما أبسط قد تكون العطية. العطية هي كأس ماء. لم يطلب منا أن نقوم بأعمال عظيمة لشخص آخر والتي ليست لدينا القدرة عليها. بل طلب منا أن نعطي شيئا بسيطا، كأس ماء. إذاً النقطة الأولى هي ان الإنسان العظيم هو خادم للآخرين.

٢. أبعاد النفوذ

النقطة الثانية للشهرة تتبع على التوالي في الآية ٤٢. حيث قال يسوع: «ومن أعثر أحد الصغار المؤمنين بي فخير له لو طوق عنقه بحجر رحي وطرح في البحر.» العبارة «أحد الصغار المؤمنين بي» تضم ليس الأطفال فقط، بل كل المبتدئين في الإيمان. إذن الخاصية الثانية هي ان يكون الشخص رحيماً للمبتدئين. ما نفعله لمساعدة أو لعثرة المسيحيين الجدد هو في غاية اهتمام الرب. مقدرتنا لنرعى برفق الذين يخطون الخطوات الأولى في الإيمان هي التي ستعبر عن عظمتنا. الإخفاق في تشجيع المبتديء أو تجعله يخطيء يجلب دينونة يسوع الصارمة. قال خير ان يطوق عنق ذلك الشخص بحجر رحي ويطرح في البحر من أن يعثر احد المبتدئن في الإيمان ليخطيء.

هذا الإلماح يذكرنا بوسيلة للحكم بالاعدام استخدمها الرومان في القرن الأول. يأخذون المجرم المحكوم عليه ويربطون حجر رحي حول عنقه ويدفعونه من السفينة إلى أعماق البحر. قد ندرك رسالة يسوع من هذا. انه قال «خير ان يموت موت شنيع بالأعدام كمجرم رديء من ان يسيء معاملة البادىء في الإيمان أو تقوده

إلى الأخطاء.»

يخبرني هذا بان الأمر خطير جداً للشخص في المسيح أن يخطئ أو يصيب تلميذ عديم الخبرة بأضطراب. ليس هناك غيرة كافية أو حماسة أو تعهد يمكن أن يعوض عن أو يقهر طبع مهمل وروح مدين الذي يضع عثرة في طريق مسيحي ناشيء. التحذير الشديد اللهجة لهذا النص يجب أن يجعلنا نتعامل بحرص وبرفق مع المسيحيين الجدد. هذا لا يعني أن لا نعلم المؤمن الناشيء كل ما يجب عليه أن يعرف ليرضي الله. لا بد أن نعلمه مشيئة الله في كل الأمور. إن لا نعلمه تلك المشيئة في كل الأمور، فاننا لم نكمل كل مسؤليتنا نحوه. النقطة التي يوضحها يسوع هي انه ضعيف وليس له خبرة وغير نامي، وعندما نعلمه، ينبغي ان نعلمه برفق وبحرص. يجب ان نكون المثل الأسمى وإلا جعلناه يتعثر بطريقة حياتنا. الإنسان العظيم هو الذي يتعامل مع المبتدئين بطريقة صحيحة.

٣. أبعاد الضمير الحي

استمر يسوع يشدد على النقطة نفسها، كما ينبغي ان نهتم بالنمو الروحي لأولئك المهتدين الجدد في المسيح، هكذا أيضاً يجب أن نهتم بنمونا الروحي. إذا كان هناك مانع يقف في طريق نمونا الروحي، علينا أن نستأصله حتى نستطيع أن ننمو إلى الشخصية التي خلقنا الله لنكون. لهذا، فان الإشارة الثالثة للعظمة هي ان الشخص العظيم لا بد أن يتعلم ليدين الخطية التي في حياته. يقول مرقس بان يسوع قال:

> وإن أعثرك يدك، فاقطعها. خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان وتمضي إلى جهنم، إلى النار التي لا تطفأ. حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ. وإن أعثرتك عينك، فاقلعها. خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح في جهنم النار. حيث دودهم لا يموت والنار لا يطفأ (الآيات ٤٣-٤٨).

إذن، العظمة هي وحيدة الهدف؛ أي وضع علاقتنا مع الله فوق كل سلوك وممارسة وخصوصية في حياتنا. إذا أعترض أي شيء طريق خدمتنا له، علينا أن نقطع ذلك الشيء ونلقيه عنا، هكذا قال.

في هذه اللحظة نقول: «هل يعني يسوع بالفعل أن أقطع يدي وقدمي أو أقلع عيني؟» اننا نكف عن مثل هذا المفهوم. النقطة التي يوضحها ربنا هي ببساطة: مهما كانت المأساة لفقد يد أو قدم أو عين من الجسد، هذه المأساة لا تقدر بشيء إذا ما تم مقارنتها مع فقدان الروح في الجحيم. مهما كان الشيء الذي يقلل من فاعلية خدمتنا له، علينا أن نلقيه عنا ونحذفه من حياتنا، ونتعامل بجدية مع الخطية التي في حياتنا.

هذا التعبير أجبرني لأقوم بفحص حياتي. لماذا أصر أن أكون أو أعمل الشيء الذي يجعل من الصعب عليَّ أن أكون أميناً وخاضعاً لإرادة الرب؟ ما هي الخطايا التي أسمح لها أن تستمر دون التدقيق عليها في حياتي؟ إلى أي حد أنا جاد؟ إلى أي حد إني صادق في التعامل مع الخطية في حياتي؟ الإنسان العظيم هو الذي يدين الخطية التي في حياته ويضع علاقته مع الله فوق كل شيء آخر.

٤. أبعاد التحمل

رابعاً: الإنسان العظيم هو الذي يتحمل في وجه الصعوبات. هذه المرحلة الرابعة للعظمة تضم واحدا من أصعب أقوال يسوع. انه قصير؛ وفي الآية ٤٩: «لأن كل واحد يملح بنار.» نار في الأسفار المقدسة تمثل عدة اضطهادات. يبدو ذلك أفضل مفهوم لما يريد أن يقوله يسوع هنا، وخاصة في ضوء مفهوم النص. انه يشير إلى الاضطهادات والقلاقل التي كانت لا بد أن تواجه التلاميذ المسيحيين. «لأن كل واحد يملح بنار»، هكذا قال. عندما نكون جادين في إتباع يسوع، ستأتي الاضطهادات والصعوبات والقلاقل المعينة. هذا بالتأكيد. بولس الرسول هو الذي كان قد أعلن في رسالته الثانية إلى تيموثاوس ١٢:٣ قائلاً: «وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع

يضطهدون.» سيعاني كل واحد من اضطهاد، فيجب علينا أيضاً أن نستعد إليه ونتوقعه. يبدو أن يسوع كان يقول بان اتباعه سيضطهدون. العظمة إذاً تتقوى عادة بنيران الصعوبات.

عندما نفكر في الاضطهاد، نفكر في الاضطهاد الذي يأتي بعنف. هذا صحيح؛ ولكن هناك أنواع أخرى من الاضطهادات قد نعانيها. تواجهنا المصائب عادة، والمصائب التي تأتي في كثير من الاحيان، تأتي عندما تتعارض أمانتنا والأشياء التي نقيمها والتي نقدرها مع الأشياء التي يقدرها ويقيمها العالم. ذلك النوع من التعارض مثل اضطهاد حقيقي، مع انه لا ياتي بعنف كنوع الاضطهاد الذي اختبره المسيحيين في القرن الأول {وفي القليل من بلدان العالم اليوم}. ولكن الإنسان العظيم، كما قال يسوع، يعلم كيف يتعامل مع الاضطراب لأنه قد رتب المسألة الأولية كيف يكون انسان تابع لله ويقف راسخاً في ذلك التعهد عندما تأتي نيران الاضطراب.

٥. أبعاد الوقاية

آخر وصف للعظمة له علاقة مع الملح. الآية الأخيرة من الأصحاح التاسع تقول: «الملح جيد، ولكن إذا صار الملح بلا ملوحة، فبماذا تصلحونه؟ ليكن لكم في أنفسكم ملح، وسالموا بعضكم بعضاً.» للإنسان العظيم نفوذ عظيم على الآخرين. قال يسوع لتلاميذه في وقت سابق: «أنتم ملح الأرض.» كما كان الملح يستخدم للوقاية والتطهير لكل مادة التي يُضع عليها، فالتلميذ المسيحي هو مطهر السلوك الاخلاقي للعالم. يمنع الحياة في العالم من أن تكون في غاية الفساد. يطهر أيضاً بمفهوم تعظيم حياة الآخرين من خلال نفوذه. كما يوفر الملح الوقاية ويطهر، هكذا أيضاً نفوذ المسيحي يقي وينقي مجتمعنا. الإنسان العظيم إذاً يُعرف بالشرف والنفوذ المشجع الذي يمارسه على العالم.

الخلاصة

إذاً، هذه هي وصفة المسيح للعظمة. أولاً: الإنسان العظيم يكون خادم الناس. ثانياً: الإنسان العظيم يكون رحيماً للمبتدئين. ثالثاً: الإنسان العظيم يستطيع أن يدين الخطية التي في حياته ويتعامل معها. رابعاً: الإنسان العظيم يحتمل في وجه الضيق. خامساً: للإنسان العظيم نفوذ متعظم ومشجع على الآخرين.

لا يظهر بجلاء كالأشياء التي يقيمها العالم، أليس كذلك؟ ولكن لما لا؟ لا يفهم العالم أمور الحياة الحقيقية.

قد وضع يسوع النقاط الرئيسية للوصول إلى العظمة التي في متناول كل منا. إذا كان الله يقول في نهاية حياتك على الأرض: «كان هذا إنساناً عظيماً»، ستنال مكافئة المكافآت – الحياة الأبدية مع كل العظماء في السماء.

أومن بأنك تريد أن تكون بين ذلك العدد. قد تكون من بين ذلك العدد إذا ما جعلت سبل الله سبلاً لحياتك.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧